Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد نجح جونتر جراس فى تجسيد أهم قضايا عصرنا، وهى الخلاص من جميع أنواع العبودية والتحرر من الاعتماد على الآخرين. إن التعبيرات المجردة مثل التحرر وتقرير المصير والديمقراطية تصبح واقعا حقيقيا فى شكل شخصيات ملموسة وأحداث، وجميعها موضوعة داخل إطار يمكن وصفه بأنه تاريخ الطعام. هذا إذا كنا على استعداد أن نعطى كلمة «الطعام» معنى أوسع بكثير.

تدور رواية «*سمكة الترسة*» فى مستويات ثلاثة: *المستوى الأول* يقص حياة وأعمال ثمان من الطباخات فى مدينة دانتسيج ابتداء من العصر الحجرى القديم إلى الحياة المعاصرة فى بولندا. ثم يأتى بعد ذلك *المستوى الثانى*، وهو قصة حمل زوجة الراوى لمدة تسعة أشهر، ومن هنا جاء تقسيم الرواية إلى تسعة فصول. *أما المستوى الثالث*، فيدور حول محكمة نسائية فى برلين تحاكم سمكة الترسة، أى تحاكم رمز الرجل الذى وقع فى شبكة صائد سمك فى نهاية العصر الحجرى، فوعد الصائد بنصيحة ثمينة إذا أطلقه وأعاد إليه حريته.

هكذا تبدأ القصة وتستمر خلال العصور المختلفة: عصر هجرة الأجناس، العصر المسيحى، العصور الوسطى، الإصلاح الدينى لمارتن لوثر، حرب الثلاثين عاما، ثم خلال العصر الرومانسى ورواد الديمقراطية من الألمان الأوائل. إنها نظرة شاملة إلى التاريخ ـ ليس إلى تاريخ الأبطال الذين ليسوا أكثر من شخصيات هامشية عارضة ـ بل هى نظرة شاملة إلى الأحداث والأعمال أثناء الحياة اليومية للناس العاديين البسطاء.

إن بناء الأحداث يهدف إلى عقد مقارنة بين حياة الطباخات وأزواجهن وبين أسلافهن وأخلاقهن، ويوضح التغييرات التى حدثت سواء إلى الأفضل أو الأسوأ. إن وصف الاهتمامات اليومية والملذات خلال عصور المطبخ والتغيرات الاجتماعية والقوى التى أدت إلى هذه التغيرات يمثل وليمة مقارنة وضعت فيها مواد ومعارف كثيرة وضخمة، ولكن بعناية وترتيب بحيث أن المائدة لا تنكسر تحت ثقل الأطباق التى عليها.

وقد تعددت فى هذه الرواية صور الكتابة والرمز ابتداء من الأشكال الموغلة فى القدم إلى اللغة العامية السوقية. ويبدو أن جونتر جراس هو الكاتب الألمانى الوحيد الذى يستطيع أن يفعل ذلك فى الوقت الحاضر، إذ أنه خلق لوحة سيطر فيها على قوة الكلمة وحيويتها بشكل نادر المثال. لقد خصص جونتر جراس للجوع فصلا رائعا ومؤثرا أبلغ التأثير، وفيه يعود المؤلف إلى ذكرياته عن رحلته إلى مدينة كلكتا بالهند، ولاشك أن هذا الفصل لم يسبق له مثيل فى كافة الآداب العالمية.